

**الخطاب الوطني المصري في صفحات
جريدة الأهرام (١٨٨٢-١٩١٤م)**



□ م.د. ليث نعمة موسى

□ كلية الامام الكاظم (ع) قسم الاعلام

**The Egyptian national discourse in the pages of Al-
Ahram newspaper**

**Imam Al-Kadhumi College (peace be upon him)
Department of Media**

Ph.D Layth Neema Moosa

laithnaama@alkadhumi-col.edu.iq

Professor and university teacher Laith Nima Musa

The problem of the research lies in the scientific institution's need for a type of studies that take into consideration the importance of the national discourse, articles, visions and perceptions prevailing in the discourse of public newspapers and their journalistic treatment of national issues. The general features of the national discourse in public newspapers, including Al-Ahram newspaper, the monitoring of articles and the prevailing perceptions in it about the issue of Egyptian patriotism, and the disclosure of the prevailing pillars in it and the role it played specifically in this issue and formed important axes in the intellectual and journalistic debate raised during the research period (1882-1914). The study community was linked to Al-Ahram newspaper, which was issued during the research period, which meets the research need for the study, as it represents part of the opinion of the public newspapers at the time. The period between (1882-1914) was set as a time frame for the study, with the beginning of the British occupation of Egypt in 1882, when the newspapers of the Arab revolution disappeared, and new press trends began, including pro-occupation and others to the Khedive, and a third to the national movement in Egypt. The study used the historical method to reach the historical truth, criticize, prove and present it as a historical presentation. The research concluded with the most prominent results:- Al-Ahram newspaper was keen to confirm the national unity between Muslims and Copts and its stand against sectarianism. Al-Ahram confirmed the existence of Egyptian patriotism and the unity of Muslims and Copts within the framework of the national university throughout history, based on the fact that there is no homeland for religion and no religion for the homeland. - The fabric of Egyptian patriotism did not know sectarianism and emphasizing that the Egyptian history of Muslims and Copts has identified in building Egyptian patriotism since its innate beginnings, and this identification that characterized the Egyptian national thought.

المستخلص

تتمثل مشكلة البحث في حاجة المؤسسة العلمية لنوع من دراسات تأخذ بنظر الاعتبار أهمية الخطاب والمقالات والرؤى والتصورات الوطنية السائدة في خطاب الصحف العامة ومعالجتها الصحفية لقضايا وطنية، وتبرز الحاجة في هذه الدراسة لتأسيس تيار بحثي جديد يتجاوز حدود المقالات التفصيلية التي تعنى بقضايا جزئية كما يعنى بالكشف عن الملامح العامة للخطاب الوطني في الصحف العامة ومنها صحيفة الأهرام ورصد المقالات والتصورات السائدة فيها حول قضية الوطنية المصرية وكشف المرتكزات السائدة فيها والدور الذي لعبته تحديدا في هذه القضية وشكلت محاور مهمة في الجدل الفكري والصحفي المثار خلال مدة البحث (١٨٨٢ - ١٩١٤) ارتبط مجتمع الدراسة لجريدة الأهرام التي صدرت خلال مدة البحث والتي تلبى الحاجة البحثية للدراسة، كونها تمثل جزء من رأي الصحف العامة آنذاك. وتم تحديد المدة ما بين (١٨٨٢-١٩١٤) كإطار زمني للدراسة، وذلك مع بداية الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢م، حيث اختفت صحف الثورة الاعرابية، وبدأت توجهات صحفية جديدة، منها موالية للاحتلال واخرى للخديوي، وثالثة للحركة الوطنية في مصر. واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي للوصول الى الحقيقة التاريخية ونقدها وثباتها وعرضها عرضا تاريخيا. الكلمات المفتاحية: (الخطاب الوطني، الإهرام، الوطنية المصرية) وخلص البحث الى نتائج ابرزها:

- حرصت جريدة الأهرام على تأكيد الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط ووقوفها ضد الطائفية. وأكدت "الأهرام" وجود الوطنية المصرية ووحدة المسلمين والأقباط في إطار الجامعة الوطنية على مدى التاريخ انطلاقا من انه لا وطن للدين ولا دين للوطن.

- ان نسيج الوطنية المصرية لم يعرف الطائفية وهي غريبة عليه مؤكدا ان التاريخ المصري للمسلمين والأقباط تماها في بناء الوطنية المصرية منذ البدايات الفطرية لها وهذا التماهي الذي ميز الفكر الوطني المصري.

تصنيف

تتمثل مشكلة البحث في حاجة المؤسسة العلمية لنوع من دراسات، لا تقف عند بحوث تعنى فقط بما يسمى بصحف الاتجاه الاسلامي، والتي لا تدخل ضمن هذا التصنيف والتي تسمى بالصحف العامة، في ظل هذا الاستقطاب تبدو الحاجة الى دراسات تأخذ بنظر الاعتبار أهمية الخطاب والمقالات والرؤى والتصورات الوطنية السائدة في خطاب الصحف العامة ومعالجتها الصحفية لقضايا وطنية، وتبرز الحاجة في هذه الدراسة لتأسيس تيار بحثي جديد يتجاوز حدود المقالات التفصيلية التي تعنى بقضايا جزئية كما يعنى بالكشف عن الملامح العامة للخطاب الوطني في الصحف العامة. ورصد المقالات والتصورات السائدة في هذه الصحف حول قضية الوطنية المصرية وكشف المرتكزات السائدة فيها والدور الذي لعبته تحديدا في هذه القضية وشكلت محاور مهمة في الجدل الفكري والصحفي المثار خلال مدة البحث

(١٨٨٢-١٩١٤) ، لسد فجوة معرفية معينة حول طبيعة الخطاب الوطني الاكثر شيوعا في المعالجات الصحفية في الصحافة العامة المصرية خلال حقبة تعد الاكثر ثراء في التاريخ الوطني وتحديد تصورات الكتاب والصحفيون ، والكشف عن معالم هذه التصورات ومضامينها واساليب الاقتناع التي لجأ اليها الصحفيون لضمان التأثير في القراء ، وخاصة تلك التي ترتبط بالخط الوطني للصحيفة ونوعها ارتبط مجتمع الدراسة لجريدة الاهرام التي صدرت خلال مدة البحث والتي تلي الحاجة البحثية للدراسة، كونها تمثل جزء من رأي الصحف العامة ومن غير الصحف الاسلامية او الحزبية. وذلك كونها قد مثلت احد المنافذ الرئيسية للحركة الوطنية بعد اغلاق الاحتلال البريطاني ١٨٨٢م للصحف الوطنية، كما وكانت منبرا لكثير من الكتاب والوطنيين مثل مصطفى كامل الذي يعد من ابرز رموز الحركة الوطنية في مصر ، والذي كتب في جريدة الاهرام اكثر من عشرين مقالا بين الاعوام (١٨٩٣-١٩٠٠م). تم تحديد المدة ما بين (١٨٨٢-١٩١٤) كإطار زمني للدراسة، وذلك مع بداية الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢م ، حيث اختفت صف الثورة الاعرابية ، وبدأت توجهات صحفية جديدة، منها موالية للاحتلال واخرى للخديوي ، وثالثة للحركة الوطنية في مصر . وعام ١٩١٤ الذي يمثل نهاية حقبة مهمة من تاريخ الصحافة المصرية بسبب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) وتطبيق الاحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف .ونظرا لطبيعة الدراسة الذي تناولت القضية الوطنية المصرية فأن مادة الرأي بأنواعها (المقال والاحاديث الصحفية التي تحمل رأيا مباشرا)، هي الملائمة في تحديد الخطاب الوطني في ظل المكانة المهمة والمؤثرة التي نالها المقال الصحفي في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي للوصول الى الحقيقة التاريخية ونقدها واثباتها وعرضها عرضا تاريخيا .أشارت "الاهرام" الى قضية الوطن المصري وأهتت صاحبها بالدفاع عن مصالح مصر وحقوقها، اذ ذكر في افتتاحيتها بأن مصر هي موضوع خدمته ، ومصالحة مصر مصطلحه ،والدفاع عن حقوق مصر هي قاعدة عمله ، وفي الوقت نفسه هو فرض عين (١) .أكد بشارة نقلا إيمانه بالوطنية وحرص "الاهرام" على "تعزيز أمانى الشعب على ما عرفه القراء في مبادئنا الصادقة " ، موضحا ان الشاعر الذي اتخذته الصحيفة لسياستها التحريرية هو "حب الوطن من الإيمان " (٢) .بينت "الاهرام" ان الهوية المصرية الوطنية موجودة منذ عهد الفرعنة ، اذ قالت في مقالها الصادر في ٢٥ كانون الثاني ١٩٠٦ "ان الوطنية توجد في قلوب الأمم يوم ان تضرب حدودا لاستيطانها وفواصل لأملأها ، وتعد من أبنائها جيشا ومن عاداتها وأخلاقها قانونا ومن مائها مروي ومن تربتها مزرعة .. فالأمة المصرية كانت منذ عهد الفرعنة حتى اليوم صاحبة أملاك وارض بحدود طبيعية مقررة .. واذا دخل الأجنبي أرضها عد غازيا وطنها مالكا بالقوة رقيتها وأعناقها." في الوقت نفسه، أشارت "الأهرام ان الوطنية المصرية قائمة منذ ذلك العهد وان كان هناك عوامل حجبتها عن الانظار "فالوطنية المصرية موجودة لانها لم تكن محض صدفة وإنما، كانت موجودة منذ أجيال بكفتين، الأول كفة النذل الذي حل بالمصريين نتيجة تكالب القوى الاستعمارية على أراضيهم وتغلبهم على أعناقهم، والآخر كفة التعصب الديني الذي أثارته الحروب الصليبية وامتدت آثاره إلى تلك اللحظة.. ومضت الأهرام تستشهد بقول مصطفى باشا "اننا نشغل لإنهاض الوطنية الراقدة" إذ أكدت ان الوطنية متجذرة في النفس المصرية، ولان مصر هي وطن المصريين بلا جدال، على الرغم من تلك الوطنية تحتاج الى تفعيلها لخدمة مصر لانها لم تبلغ اشدها ولم تترك رشدها حسب وجهة نظر جريدة "الاهرام" التي توقعت للقضية المصرية مستقبلا زاهراً عندما قالت: ها نحن نتعهدا كل يوم وهي تنمو أمام العيون وتكبر ، الأمل بأنها ستكون يوما جذعها في الأرض وفرعها في السماء (٣).

من جانب آخر تناولت "الأهرام" الخطاب الديني باعتبارها احد أبرز العنقبات لتحقيق الوحدة الوطنية المصرية، طارحة عدة أفكار في

ذلك السياق منها :-

١- المطالبة باستبعاد الدين من مكونات الوطنية :

لأنها رأته ان كلمة الوطن يجب ان تكون جامع لكل المصريين على اختلاف أديانهم معلقة على ذلك الأمر بقول: "فنكون كلنا أخوة لأننا أبناء وطن واحد يضمنا كالجسد تتلاحم أعضاؤه وتتواصل اجزائه إذا ظللنا نتخاذل لأننا أبناء بيت واحد على اديان متباينة ، ظلت حجة أوروبا علينا قوية ، وظل شملا ممزقا ووطنا ضعيفا فلا تقيم وحدة الدين دنيانا ، ولا تقيد دنيانا وحدة الدين " (٤).

استندت جريدة "الاهرام" عندما طالبت بأبعاد الدين عن القضية الوطنية الى عدة حجج وأدلة كان من بينها ما يأتي:

أ-إن الشرقي لا يقوى "الا يوم يطرح تعصبه الديني لعصبيته الوطنية ، ويوم يتعلم من الغربي فضائله التي رفته الى أوج العلاء " (٥).

ب- لم تتجح أوروبا بتحقيق الوطنية الا بعد ان قامت باستبعاد الدين عن المقومات الوطنية وانضاجها، والتي استطاعت تحجيم دور رجال الدين وعدم السماح لهم بالتدخل أكثر من واجباتهم الدينية المنوطة بهم، وعدم وضع مقدرات البلاد بين أيديهم. كما بينت الأهرام ان "أوروبا

لم تستطع تهيج هكذا نهجاً وطنياً خالصاً الا بعد ان سبحت فيها الأشلاء في نهر من الدماء من اجل الأديان في القرون الخالية وما الذي نراه اليوم الا نتيجة درس طويل وثمره سنوات كثيرة، ونحن الشرقيين لا نستطيع مجارة الأمم الأوربية في مجال تنازع البقاء الا إذا قدمت كل امة وطنيتها وعزلت مسائل الدين عن مسائل الوطن^(٦) الأسمى .. وهو الوطنية المصرية^(٧).

ج- في المقابل، أوضحت جريدة "الأهرام" نقطة مهمة جدا للمتخرجين حول عودتها، بأن استبعاد الدين من مقومات الوطنية لا يعني التقليل من شأن الدين او النيل من قدسيته، بل على العكس تماما اذ كتبت ما منه : " فليحترم المسلم دينه في جامعه والنصراني في كنيسته واليهودي في معبده ولا ينظرون بعد ان يخرجوا من معابدهم إلا إلى وجهة الوطنية المقدسة "^(٨) أما إذا كانوا خارج أماكن العبادة " كانوا أخوة في وطنهم بل كانوا مصريين فقط ، وليس في ذلك ما ينافي اعتقاد واحد منهم "^(٩).

د- كما استندت جريدة "الأهرام" على قول جمال الدين افندي شيخ الإسلام في الأستانة لإحدى الصحف الباريسية أن "الدين لله والوطن للجميع ، فنحن في الوطن واحد وإن اختلفت الأديان"، ذاكرا ان على جميع علماء الدين في مصر ان يتلقوا ذلك القول وان يعوا الدرس بشكل بليغ ويطبوه في بلادهم، معلقة بأن "الاستانة ألفت درساً نافعاً على مصر"^(١٠).

هـ - ان "التحزب العقيدى شيء والتحزب الوطني شيء اخر ، ولسنا في عصر يجوز فيه التحزب بالعقيدة لأن الدين قد انشطر مذاهب وطوائف وأديان ، ومن المستحيل تحول طائفة من مذهبها مذهب اخر ولكن الوطن الواحد خيره للجميع "^(١١). وينسجم هذا الطرح مع جملة موقف "الاهرام" من قضية الانتماء الوطني، التي استبعدت منها الجانب الديني إذ رفضت الجامعة الإسلامية وطرححت (العثمانية) بديلا عنها. فضلا عن ان عددا من الكتاب في تلك الفترة اتجهوا الى "استبعاد الدين من مقومات تكوين الامم والقوميات ، وكان الدافع على ذلك محاولة نفي تهمة التعصب الديني عن المصريين.. وهي التهمة التي حاول كثير من كتاب وسياسي أوروبا إلصاقها بالمصريين " ^(١٢) خلال مدة الدراسة .

٢- تأكيد الوحدة الوطنية بين المصريين :

عنيت "الأهرام" ببيان قوة وماتانة الجامعة الوطنية بين المصريين ذاكرا بالقول: "وكيف لا تكون متينة العرى والأمة وهي الممتلئة للأفراد ، عائلة واحدة يستقي كل منها بالكأس الذي يستقي منها الأخر ، فإذا تدعى فرد تداعت له بقية الأفراد ، وما يعود بالمنافع على الشخص الواحد منهم يتكرر بقدر تعداد الأمة ، وهكذا لو اصاب الشخص الواحد منهم مكروه " ^(١٣). وفي تأكيدها للوحدة الوطنية تصدت "الاهرام" لمحاولات إثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط من جانب بعض الصحف وبخاصة صحيفة الوطن التي أثارَت الفتنة الطائفية وهي من تتحمل المسؤولية عن هذه الفتنة أمام التاريخ "^(١٤) والتي انضمت اليها بعض الصحف الأخرى . ^(١٥) فقد انتقدت الاتجاه الذي اتخذته صحيفتا الوطن والمصري في مناقشتهما لبعض شؤون الأقباط وحقوقهم ، وأوضحت الأهرام ان الصحيفتين " غامرتا في هذه المسألة حتى ذهب منهما الحق وكاد الباطل يقوم مقامه وذهب منهما جوهر الإخاء والعدالة والمساواة بين المواطنين حتى كاد عامل التفرقة والانقسام يحل محله ، فإذا كانت تريدان مطالبة الأمة بمبدأ المساواة ، فقد أجابت الأمة كلها على صفحات الصحف الإسلامية والنصرانية بتأييدها هذا المطلب " ^(١٦). التزمت "الأهرام" جانب الحياد، إذ لم تقف الأهرام إلى جانب الطرف الأخر من الصحف الإسلامية ، بل "كانت خصما للفريقين معا" ^(١٧) ونبهت ان "مهمة الصحافة في بلادنا ان تتادي ليل نهار وصباح مساء بالإخاء والحرية والمساواة والعدالة حتى نغرس هذه التعاليم في رؤوس الجميع وحتى تنزل من الطبقة العليا الى ما دونها وتتناول مجموع الشعب ". كما وذكرت انه ليس من حسن السياسة ولا من خدمة الوطن او الأديان ، التحول عن ذلك إلى تنكير العامة بالفارق بين العناصر أو الطوائف .في الختام دعت ،"الأهرام" الصحف المصرية كافة إلى "الإقلاع عن طريقة استثارة النفوس ، والعودة الى المناداة بالإخاء والتوفيق بين الطوائف والعناصر لا لخدمة فئة دون أخرى بل لخدمة الأمة كلها جمعا وأفرادا " ^(١٨). صرحت "الاهرام" على توثيق الروابط الوطنية بين المسلمين والأقباط وبارازها، لذلك نشرت مقالا للشيخ جلبة العشماوي تضمن العديد من الاحاديث النبوية التي توصي المسلمين بحسن معاملة نصارى مصر اهم ماجاء فيه هو: " عسى ان يكون من ورائها ما نرجوه من الرجوع الى توثيق الارتباط بين المسلمين والأقباط " ^(١٩).

بالمقابل، رفضت "الاهرام" موقف بعض الأقباط الذين خشوا من قيام مجلس نيابي في مصر فبعثوا برسالة إلى الوكالة الانكليزية يعبرون فيها عن هذا الموقف ، ففي تعقيبها على الرسالة التي بعثت بها تدارس بك شنودة المنقبادي "بأسم أعيان اقباط في مصر يستتكر فيها إنشاء مجلس نيابي ' .. لاعتقاده بان القطر المصري لم ينضج بعد لقبول مثل هذه الاحكام . "

في تعقيها على هذه الرسالة ذكرت "الأهرام" ان مرافقها و مصالحتها وأعمالها وشؤونها وإدارتها والعدالة فيها، ليست مقسمة على اساس الأديان، واعابوا على الاقباط الذين يخشون تأسيس المجلس النيابي المصري لانهم ليس لهم ان يقولوا ان الإنكليز حكموا الجميع فساووا بين الجميع والمساواة ولو بالظلم عدل ، فما تعتقده الهيئة الرقابية في البلاد ، وتريد هو ان يكون جميع المصريين سواء في الحقوق ، فلا ينظر الى دين الرجل بل الى جدارته .وتؤكد الصحيفة صحة ما تذهب اليه ، فتقول أن أكبر دليل على ذلك هو أعطت "الأهرام" دليلاً دامغاً إلى ما ذهبت إليه قائلة: "تهوض نوابغ الأقباط من الناشئة الحديثة ونهر الذين قدموا العريضة .. وكان حقا على الاقباط ان يعززوا حزب الحرية وحزب الإخاء والمساواة بل حزب الوطنية الذي بدأ بالظهور التام وهو يقول الآن علانية جهار ان كل ما في مصر مصري والارض واحدة للجميع والحقوق واحدة للجميع .لم تكتف "الأهرام" بكل ماتقدم وذلك بإشارتها الى قيام بعض ناشئة الأقباط بالاحتجاج لمحو تلك الرسالة الى الوكالة الإنكليزية ، بل طالبت بأرصاد الأمة قائلة: "بل واجب ان يقال للمصريين عامة ولحزب التفريق منهم خاصة أيها الناس إسمعوا وعوا إنكم في بلادكم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ونحن نقول لمصريين اتحدوا يدا واحدة ستتحجوا بإذن الله " (٢٠) .وأكدت ان الامة التي تحيا وأفرادها متحابون متوادون تكون اقرب الى النجاح ممن تعيش وأبنائها متباغضون متنافرون لأن البغضاء والتناذر والتخاذل بين أفراد الامة لمن الاسباب والدواعي التي تؤدي الى ضعفها ووهنها " (٢١) .ودعت "الأهرام" إلى تجاوز الأزمة التي تعرض لها الوحدة الوطنية عقب حادث مقتل رئيس الحكومة المصرية بطرس غالي في فبراير عام ١٩١٠ م :باعتباره حادثاً سياسياً حاداً ، لاعلاقة له بالطائفية او المذهبية فبالرغم من ان إبراهيم الورداني قاتل بطرس غالي، لم يذكر في دوافعه لارتكاب هذه الجريمة - من قريب أو بعيد - مسألة اختلاف الدين ، وانما كانت دوافعه سياسية (٢٢) ، فقد قال " انه قتل المجني عليه لانه خان وطنه .. وعد من خياناته او الاسباب التي دفعته إلى التفكير في قتله قبوله رئاسة محكمة دنشواي ، وتوقيعه اتفاقية السودان وإخراجه قانون المطبوعات وأهانته مجلس الشورى والجمعية العمومية " (٢٣) كان هذا الحادث بمثابة تجبير خطير لفتنة طائفية وأزمة في الوحدة الوطنية (٢٤) وتشير غالبية الدراسات الى ان الانكليز هم الذين دفعوا الأمور لتصعيد هذه الأزمة لإجهاض الحركة الوطنية المصرية ، فقد أوهموا عددا من الأقباط بأن الاحتلال لحماية الأقلية من خطر الأغلبية ، وقد استخدم الاحتلال البريطاني لذلك صحيفتي مصر والوطن (٢٥) . لذا كان على بعض حكماء المصريين أن ينهضوا لمواجهة التيار الذي كان مفهوما أنه لن يستفيد منه سوى الاحتلال البريطاني ، إذ سوف يؤكد التهمة التي ظلت دار المعتمد البريطاني تلقيها في وجه رجال الحركة الوطنية من انها حركة قائمة على التعصب (٢٦) .كانت "الأهرام" من بين الصحف، التي سخرت جهودها للدعوة الى الوئام ، بالاستماع الى صوت العقل وعدم النفخ في الدخان كما عبرت، فتساءلت: "لماذا يقاد الناس الى اصوات تستدرجهم الى الهاوية والى متاعب تزج بهم في المهالك الباغية " (٢٧) .كما طلبت من الأقباط الابتعاد عن كل ما يؤجج النزعة الطائفية عندما نصحتم بأن لا يذهبوا إلى " الحارات والشوارع والأزقة ليلتقطوا الآراء ، بل لهم ان يتقبلوا عبارات الولاء والإخاء من عقلاء الأمة " (٢٨) .دعت "الأهرام" إلى نبذ العداوة والبغضاء بين المسلمين والأقباط باعتبارهم مصريين يعيشون تحت سقف وطناً واحداً، وان اي شرخ ما بينهم سيذهب بأمالهم وبلادهم أدراج الرياح، لان الفرقة بين أبناء البلد الواحد لا يوده احد وليس في صالح طرف على حساب الطرف الآخر، لأجل ذلك ناشدت "الأهرام" العقلاء وأصحاب الحكمة، ان يتأملوا وضع البلاد في حالة التفرقة كيف سيكون (٢٩)، وعليهم ان يقفوا على كل فكر طائفي او مذهبي وان يبادروا بالوئام ونصفية الخصومات لتحقيق الوحدة الوطنية (٣٠) .وعندما ظهرت الدعوة الى عقد مؤتمر القبطي في اسبوط ثم تبعها الدعوة الى مؤتمر إسلامي (المؤتمر المصري) للرد عليه ، استمرت "الاهرام" في نهجها الداعي إلى الوئام فقبل انعقاد المؤتمر القبطي بستة ايام اشارت إلى ان هذا المؤتمر - الذي لم تعلم برنامجه بعد- ربما يكون فرصة للمصارحة قائلة: "فما ضر أمة من الأمم مثل الإبهاء والاختفاء ، وما نفعها مثل الصراحة والبيان والجهر بالصدق .. فليكن هذا المؤتمر .. لينكشف الغطاء عما هو مخبأ إذا كان هناك مخبأ" كما اشارت الى ما نشرته إحدى الصحف من ان مطالب الاقباط تتحصر في "ثلاث كلمات : الحرية الدينية والعدالة والمساواة " وتأكيد لذلك التوجه علق يوسف شكور على ذلك ، بقوله : "أنا مسيحي فلم اشعر ذات يوم بأني صودرت في حريتي الدينية ، وأنا مسيحي ويسرني أن اشهد لبلد إسلامي بروح العدالة القوية حتى ان هذا البلد ولى احد المسيحيين حكومته " (٣١) .نبهت "الاهرام" الرأي العام المصري الى آثار التفرقة الدينية على الوحدة الوطنية، وجاء ذلك عقب تردد انباء عقد المؤتمر الاسلامي كرد فعل على انعقاد مؤتمر الاقباط، اذ عبرت عن استيائها وحزنها الشديد من هكذا نهج، مؤكدة في الوقت نفسه الربح الوحيد من هكذا افعال هو الاحتلال البريطاني لانه فيه انقسام واضح للوحدة الوطنية المصرية معلقة بالقول: "الجيل والخطير والمحرزن في ذلك كله ان تكون في القرن العشرين ونرى مصر تنقسم طوائف وشيعا بدلا من تكون جسما واحدا وذلك بفضل سياسة المحتلين أو قلة خبرة السياسيين المصريين ، فليضحك اليوم من يضحك من الإنكليز ، فإن لهم في مصر

هند ثانية "لم يكن للأهرام يدأ الا الدعوة الى الصفاء و الوثام الوطني إذ ذكرت : "إذا كانت قد قامت اليوم مؤتمرات التفریق ، ألا يوجد في الأمة من يقوم لاغتنام الفرصة للدعوة الى الوثام"^(٣٢). وفي تعليقها على المؤتمر الإسلامي أشارت "الأهرام" الى ان بعض أعضاء المؤتمر الإسلامي المزمع عقده قال أن الغاية منه هو إصلاح ما أفسده المؤتمر القبطي وذكرت : ان هذه الغاية : "تصل اليها من طريقين إذا حسن الأداء وصفت الضمائر . الأول حكمة اصحاب المؤتمر الاسلامي الذين يريدون إصلاح ما فسد من شأن الأمة بمؤتمر اسويط . والثاني إقدام العقلاء ممن اشتركوا بمؤتمر اسويط على الاشتراك بالمؤتمر الاسلامي .. لإزالة سوء التفاهم "^(٣٣) كما دعت ان يكون المؤتمر الإسلامي مؤتمرا مصرياً وطنياً لا يشترك فيه الجميع حتى الأقباط ، وطالبت ان يتجاوز المؤتمر الاسلامي الرد على المؤتمر القبطي ، بحيث يكون " لإعلان رأي الأمة فيما تود ان يكون عليه حكم بلادها لو كان الأمر في قبضتها " ^(٣٤). وذكرت على لسان إبراهيم الهلباوي بك سكرتير المؤتمر المصري ان المؤتمر الاول " كانت أول نتائجه انشقاق التوثمين ، اما المؤتمر الثاني فالغرض منه رتق الفتق بقدر الإمكان ، وإصلاح ما أفسده المؤتمر الاول " ^(٣٥) وذكرت ان الهلباوي انكر ان يكون المؤتمر القبطي معبرا عن الأقباط كلهم ، لأنهم لا يرضون مؤتمرا يجرح عواطف المسلمين " وما يؤيد هذا الرأي منشور غبطة البطريرك ، وصوت البطريرك ليس صوت فرد بل هو صوت جمهور عظيم ، فيجب علينا ان نشكر هذا الرئيس واحسن علامات الشكر ان نبعد عن انفسنا الحقد والتباغض لإخواننا " ^(٣٦) وتابعت "الاهرام" المؤتمر المصري الذي انعقد في ٢٩ ابريل ١٩١١م بمصر الجديدة ، وبرزت التوجه الوطني الذي سيطر عليه والذي عبر عنه معظم الذي تحدثوا فيه ، فقد اشارت الى ان تقرير اللجنة التحضيرية للمؤتمر قد شدد على ألا يكون الوطن "مرشحا لمظاهر العدوات الدينية " وعدم الاقتصار على مسائل الأقباط فقط ، وانما تضمن برنامج المؤتمر بحث " المسائل الاجتماعية والاقتصادية وكل ما له علاقة بسعادة الأمة ما عدا المسائل السياسية داخلية كانت أو خارجية " ^(٣٧). وفي متابعتها للمؤتمر أوضحت ان جلساته قد أكدت على الوحدة الوطنية بين مصريين ، فالأمة المصرية " ليست خليطا وليست كوما من الرماد تذرته الرياح وتبعثره ، ولكنها جسم حي تجمععه روح واحدة مكونة من إرادات مجتمع ومن أفكار مشتركة ، ويجب ان تكون تربية الأمة قائمة على المحافظة على هذه الروح .. فلتحي الوحدة الوطنية فهي التي ستشيد هذا البناء الفخيم .. وعاش المصريون مسلمين وأقباطا منذ ثلاثة عشر قرنا جيرانا متآلفين وأخوانا متعاضدين "^(٣٨). عضدت "الاهرام" فكرتها بقول احمد عبد اللطيف في إحدى جلسات المؤتمر : "لا نقبل أن يكون في مصر حزب ديني سياسي يجمع شتات الأقباط او حزب إسلامي يجمع شتات المسلمين . لا نقبل هذه الانقسامات الدينية التي عاشتها أوروبا في القرن السادس عشر وحفظها التاريخ بعظة بالغة للناس لو كانوا يعقلون " ^(٣٩) وأراء ذلك كله، طالبت "الاهرام" بعقد مؤتمرات اخرى لا توجد فيها هذه الظروف التي جعلت المؤتمر القبطي اقتصر على المسائل المذهبية والطائفية ، اي مؤتمرات تضم فيها مصر كل ابنائها وكل مستوطنينها وهم مترابطون برباط الإخاء الوطني الصحيح فيصبح قول المؤتمر الأول: مصريون قبل كل شيء ^(٤٠) ففي هذه الظروف الصعبة التزمت "الاهرام" بالحياد وكانت " للوطن قبل الدين " ^(٤١).

دعت الأهرام الى تحقيق الوثام الوطني بين كافة ابناء الأمة المصرية مستندة في دعوتها تلك الى عدة حجج أبرزها :-

- أ - ان مصر كانت كلها مصابة في مقتل بطرس غالي، " وان قانون مصر المبسوط على الجميع قبض على عنق الجاني ليقبض منه "^(٤٢).
- ب- و" إذا كانت الضحية الثمينة التي اخذها رصاص القاتل منهم لا ترد ولا تعوض ، فلتكن تلك الضحية الثمينة لحاما يدمج عنصرى الأمة إدماجا صحيحا سليما قويا لمصلحة الجميع " ^(٤٣).
- ج - إن واجب الصحافة هو توجيه الشعب الى الوثام وارشاده الى طرق الوحدة الوطنية ، وليس بث بذور الفرقة بين الطوائف " فإذا كانت قادرة على حفظ الامن بالقوة ، فهي عاجزة عن الارشاد والتهديب القادرة عليهما الصحافة . وإذا ما تبعت صحافتنا الأهواء ونزوات الرؤوس كانت جريماتها فظيعة وشرها عظيما ، واذا حكمت العقل وكبحت جماح النفس كانت خدمتها جليلة ونفعها جزيل ، .. فالوثام الوثام ، فإنه فيه وحدة خير هذه البلاد "^(٤٤) .
- د- ان الوطنية المصرية أقوى من اي دعوات طائفية أخرى، والدليل على ذلك " أن الصاخبين والضاجين والصائحيين والخابطين والمشدين والعازفين والزاعقين والقائلين والمرددين (أقباط ومسلمون ومسلمون وأقباط) قد صرفوا ثلاث سنين أو اكثر من ذلك في صياحهم .. ولم يحركوا من هذا الشعب ظفرا ولم يهزوا عصبا ، وكل ما حركوه أو ظنوا انه حركة كبيرة ، أقلامهم في أيديهم وخواطر في رأسهم .. كما تحرك الحصة الصغيرة تلقيها في اليم الكبير القطرة التي تلقى عليها ، اما الخضم فساكن هادئ " ^(٤٥).

و- إن مصر وطن جميع المصريين بجموعهم " فلا توجد لدينا مصر القبطية أو مصر المسلمة أو مصر اليهودية أو مصر المسيحية أو مصر الرومانية أو مصر الوثنية ، ولكن أمامنا شعبا واحدا بل جوهرها فردا هو مصر فقط " (٤٦) .

ز - ان السنة النبوية احتوت على العديد من الاحاديث النبوية الصحيحة التي توصى المسلمين بالقبط ، ومنها : " ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القبط فاستوصوا بأهلها خير فإن لهم ذمة ورحمة . " وقوله - صلى الله عليه وسلم - عند وفاته " الله الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونوا لكم عدة وأعوانا في سبيل الله " (٤٧) . يتضح مما سبق أن "الاهرام" رغم حرصها على ابعاد الدين من مقومات الوطنية المصرية ، وهو ما مثل طروحاتها الأولى في خطابها حول هذه القضية ، فإنها قد لجأت في طروحات أخرى الى توظيف النصوص الدينية لتأكيد الوحدة الوطنية بين المصريين بمعنى آخر ، انها استطاعت ان توظف الدين خدمة لتحقيق الوحدة الوطنية، حيث نشرت - في إطار دعوتها الى الوئام بين المسلمين والأقباط وتجاوز الأزمة التي تعرضت لها الوحدة الوطنية - أحاديث نبوية توصى المسلمين بحسن معاملة نصارى مصر . وهو ما يؤكد صعوبة تجاوز " الدين " عند الحديث عن الوطنية المصرية ، حتى عند الذين يطالبون باستبعاده من مقومات هذه الوطنية .

الذاتمة

حرصت جريدة الاهرام على تأكيد الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط ووقوفها ضد الطائفية ، وأبرزها للعناصر المشتركة التي تجمع بينهم في تناولها للأزمة الطائفية ما بين عامي (١٩٠٨-١٩١١م) وأكدت "الاهرام" وجود الوطنية المصرية ووحدة المسلمين والأقباط في إطار الجامعة الوطنية على مدى التاريخ انطلاقا من انه لا وطن للدين ولا دين للوطنية ، فضلا عن ان الشريعة الإسلامية تساوي بين المسلمين والأقباط في الحقوق والواجبات وطالبت بالعمل على الوئام بين الطرفين لتجاوز الأزمة التي تعرضت لها الوحدة الوطنية ، مبينة ان المستفيد من هذه الأزمة والداعم لها هو الاحتلال البريطاني . ووضحت ان نسيج الوطنية المصرية لم يعرف الطائفية وهي غريبة عليه مؤكدا ان التاريخ المصري للمسلمين والأقباط تماهوا في بناء الوطنية المصرية منذ البدايات الفطرية لها وهذا التماهي الذي ميز الفكر الوطني المصري لم يكن بعيدا عن المرجعية الدينية لكل من المسلمين والأقباط . من الجانب الاسلامي نجد ان المسلمين لم يعرفوا في تاريخهم فكرة قيام الدولة على عنصر الاسلام فقط بل ان اول دولة اسسها الرسول محمد (ص) في المدينة المنورة قامت على التعددية الدينية وبالصدد أكد الخطاب الديني الإسلامي على التعامل بالحسنى مع اهل الكتاب بصفة عامة والمسيحيين بشكل خاص بقوله تعالى " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون " (المائدة: ٨٢) وفي الاحاديث النبوية الشريفة التي توصي بقبط مصر والتي استندت اليها "الاهرام" في تأكيد الوحدة الوطنية . وعلى الجانب المسيحي فأن الكنيسة المصرية لديها جذور راسخة في الوطنية المصرية وفي تاريخ مصر الحديث والمعاصر عبرت عن وطنيتها بكثير من الوسائل ، منها موقفها في عهد البطريرك يوانس الثامن عشر الذي تولى رئاسة الكنيسة القبطية عام ١٧٦٩م حيث رفض طلب كنيسة روما الكاثوليكية بأن تنضم اليها الكنيسة المصرية في وقت بزوغ الحضارة الاوروبية ، ولذلك فأن المحنة الطائفية التي شهدتها مصر في بعض سنوات الدراسة كانت حدثا عارضا في تاريخ الوحدة الوطنية المصرية ، حيث كان ورائها عوامل عدة وفي مقدمتها الاحتلال الانكليزي التي اجمعت الدراسات على انه اشعل فتيلها واستمراريتها ، فضلا عن انها حدثت في وقت كان كفاح المصريين من اجل الاستقلال قد تعرض لضغوط متتالية بدأت بتخلي فرنسا عن مساندة القضية المصرية (١٩٠٤م) ، ورحيل محمد عبده احد قامات الاصلاح الديني والاجتماعي في مصر (١٩٠٥م) ، ثم وفاة مصطفى كامل (١٩٠٨م) والذي جسد الروح الوطنية المصرية و هذه الظروف كانت فرصة لازالة الشوائب التي القت بها تلك الضغوط على جوهر الوحدة الوطنية لكي تزداد متانة وصلابة وكانت في الوقت نفسه الميلاد الحقيقي لفكرة الوطنية المصرية ونقطة الشروع في الجامعة المصرية والتي اكتملت مظاهرها في ثورة ١٩١٩ التي امتزج بها المسلمون والأقباط قولا وفعلا .

الهوامش

١- "الاهرام" ، ١٠/٧/ ١٨٨٤

٢- "الاهرام" ، ١٢/١/ ١٨٩٥

٣- "الاهرام" ، ٢٥/١/ ١٩٠٦

٤- "الأهرام"، ١٧/٨/١٩٠١

٥- "الأهرام"، ١٧/١/١٩٠١

٦- "الأهرام" ٢٥/٧/١٩٠٦

٧- "الأهرام"، ٤/٥/١٩٠٨

٨- "الأهرام"، ٢٥/٧/١٩٠٦

٩- "الأهرام"، ٤/٥/١٩٠٨

١٠- "الأهرام"، ٥/٨/١٩٠٨

١١- "الأهرام"، ١١/٧/١٩١١

١٢- فاروق ابو زيد ، الفكر الليبرالي في الصحافة المصرية ، القاهرة ، عالم الكتب ، د . ت ، ص ٢٠٦ .

١٣- "الأهرام" ٢٠/٣/١٩٠٧

١٤- فاروق ابو زيد ، مصدر سابق ص ٢٤٢

١٥- نشرت صحيفة الوطن عدة مقالات عام ١٩٠٨ لفريد كامل ذكر فيها ان القبط في مصر مظلومون وحقوقهم مظلومة ورد عليهم الشيخ عبد العزيز حاويشبعده مقالات في صحيفة اللواء و انضمت صحيفة مصر الى "الوطن" واثارت العداوة والبغضاء والتعصب الديني وشجعهما الاحتلال الانكليزي ، وتفاقت الأزمة بعد مقتل بطرس غالي (رئيس الحكومة المصرية عام ١٩١٠) حيث دعا الأقباط الى عقد مؤتمر لهم وعقد بالفعل من

٦- ١٩١١/٣/٨ في مدينة اسيوط لمناقشة مطالبهم ثم تلاه مؤتمر للمصريين عقد مؤتمر في مصر الجديدة يوم ٤/٢٩ الى ٤/٥/١٩١١ ولكن تراجع الطرفين بعد ادراكهم الى المخاطر المحدقة بهم على شق الصف الوطني وبادرت صحيفة الوطن القبطية الى انهاء الخلاف الطائفي واستتكار قادة الرأي وصحف كثيرة من الطرفين هذه الفتنة وطالبوا باخمادها . ينظر عبد اللطيف حمزة ، قصة الصحافة العربية ، بغداد ، دار المعارف، ١٩٦٧م ، ص ١١٤ . و انور الجندي ، الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٧٠ ، ص ٣٤٣ .

١٦- "الأهرام" ، ١٠/٧/١٩٠٨

١٧- ابراهيم عبده جريدة الأهرام تاريخ وفن ١٨٧٥-١٩٦٤ م ، القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٨١ م ص ٣٧١ .

١٨- "الأهرام" ، ١٠/٧/١٩٠٨

١٩- "الأهرام"، ٢٠/٧/١٩٠٨

٢٠- "الأهرام"، ١٩/٣/١٩٠٧

٢١- "الأهرام"، ٢٢/١/١٩٠٦

٢٢- رمزي ميخائيل ، الصحافة المصرية والحركة الوطنية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مركز تاريخ وثائق مصر ، سلسلة عصر النهضة ، ٥٢ ، ١٩٩٦م ، ص ص ٦١-٦٢ .

٢٣- "الأهرام" ، ٢٠/١١/١٩٠٧

٢٤- زكريا سليمان بيومي ، الحزب الوطني ودوره في السياسة المصرية ١٩٠٧-١٩٥٣ م ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص ٢٤٧

٢٥- طارق البشري ، المسلمون والاقباط في اطار الجماعة الوطنية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٨ ، ص ص ١٠٤-١٠٩ .

٢٦- "الأهرام" ، ٢٠/١١/١٩٠٧

٢٧- "الأهرام" ، ٢٥/٢/١٩١٠

٢٨- "الأهرام" ، ٤/٣/١٩١٠

٢٩- "الأهرام" ، ٤/٣/١٩١٠

٣٠- ابراهيم عبده ، مصدر سابق ص ٣٧٣ .

- ٣١- "الأهرام"، ١٩١١/٣/١،
 ٣٢- "الأهرام"، ١٩١١/٣/٧،
 ٣٣- "الأهرام"، ١٩١١/٣/١٠،
 ٣٤- "الأهرام"، ١٩١١/٣/١٠،
 ٣٥- "الأهرام"، ١٩١١/٣/١٥،
 ٣٦- "الأهرام"، ١٩١١/٣/١٥،
 ٣٧- "الأهرام"، ١٩١١/٤/٢٩،
 ٣٨- "الأهرام"، ١٩١١/٤/٣٠،
 ٣٩- "الأهرام"، ١٩١١/١/١،
 ٤٠- "الأهرام"، ١٩١١/١/٦،
 ٤١- ابراهيم عبده، مصدر سابق، ص ٣٨٤.
 ٤٢- "الأهرام"، ١٩١٠/٢/٢٥،
 ٤٣- "الأهرام"، ١٩١٠/٣/٤،
 ٤٤- "الأهرام"، ١٩١٠/٢/٢٥،
 ٤٥- "الأهرام"، ١٩١١/١/٧،
 ٤٦- "الأهرام"، ١٩١١/١/٧،
 ٤٧- "الأهرام"، ١٩٠٨/٧/٢٠،

المصادر

أولاً : الكتب العربية .

- ١- أنور الجندي، الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية، القاهرة، دارالمعرفة، ١٩٧٠ م .
 ٢- ابراهيم عبده جريدة الأهرام تاريخيون ١٨٧٥-١٩٦٤ م، القاهرة، سجل العرب، ١٩٨١ م .
 ٣- رمزي ميخائيل، الصحافة المصرية والحركة الوطنية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركزت اريخوث انقصر، سلسلة عصر النهضة، ١٩٩٦ م، ٥٢
 ٤- زكريا سليمان بيومي، الحزب الوطني ودوره في السياسة المصرية ١٩٠٧-١٩٥٣ م، القاهرة، ١٩٨١ م .
 ٥- طارق البشري، المسلمون والاقباط في طار الجماعة الوطنية، الطبعة الثانية، القاهرة، دارالشروق، ١٩٩٨ م .
 ٦- عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية، بغداد، دارالمعارف، ١٩٦٧ م .
 ٧- فاروق ابوزيد، الفكر الليبرالي في الصحافة المصرية، القاهرة، عالم الكتب، د . ت .

ثانياً : الصحف العربية .

- ١- "الأهرام"، ١٨٨٤/١٠/٧،
 ٢- "الأهرام"، ١٨٩٥/١/١٢،
 ٣- "الأهرام"، ١٩٠١/١/١٧،
 ٤- "الأهرام"، ١٩٠١/٨/١٧،
 ٥- "الأهرام"، ١٩٠٦/١/٢٢،
 ٦- "الأهرام"، ١٩٠٦/١/٢٥،
 ٧- "الأهرام"، ١٩٠٦/٧/٢٥،
 ٨- "الأهرام"، ١٩٠٧/٣/١٩،
 ٩- "الأهرام"، ١٩٠٧/١١/٢٠،

- ١٠- "الأهرام" ، ١٠/٧/١٩٠٨
- ١١- "الأهرام" ، ٢٠/٧/١٩٠٨
- ١٢- "الأهرام" ، ٢٥/٢/١٩١٠
- ١٣- "الأهرام" ، ٤/٣/١٩١٠
- ١٤- "الأهرام" ، ١/١/١٩١١
- ١٥- "الأهرام" ، ٦/١/١٩١١
- ١٦- "الأهرام" ، ٧/١/١٩١١
- ١٧- "الأهرام" ، ١/٣/١٩١١
- ١٨- "الأهرام" ، ٧/٣/١٩١١
- ١٩- "الأهرام" ، ١٠/٣/١٩١١
- ٢٠- "الأهرام" ، ١٥/٣/١٩١١
- ٢١- "الأهرام" ، ٢٩/٤/١٩١١
- ٢٢- "الأهرام" ، ٣٠/٤/١٩١١
- ٢٣- "الأهرام" ، ١١/٧/١٩١١